المسألة الثانية

هل أراد الله أن يؤمن عباده جميعاً؟

ثم قال **عبدالله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم: هل أراد الله وأحب أن يؤمن العباد جميعاً؟.. **فإن قالوا**: نعم، فقل: أفليس قد أراد وأحب أن يكون غير ما يعلم؛ لأنه قد علم أنهم لا يؤمنون جميعاً، فقد أراد وأحب أن يكون غير ما علم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل لهم: أرأيتم الذى لا يعلم ما يكون، إلهٌ هو؟.. **فإن قالوا**: لا، الذى لا يعلم ما يكون، فليس هو بإله؛ لأن الذى يجهل ما يكون ليس بعالم، وهذه صفة الخلق. **فقل لهم عند ذلك**: صدقتم. أفليس يوجب أن من يكون فى هذه الصفة فهو غير إله ؟!.. فإن قالوا: بلى. فقل لهم: أليس اللهُ يريد ويحب أن يكون غير ما يعلم، وقد أحب أن يكون غير ما يعلم، وقد أحب أن يكون فى صفة المخلوق، وتكون أشياء لا يعلمها، فقد أحب أن يكون شيء لا يعلمه أنه كائن، فقد أراد وأحب أن يكون غير ما علم، وهذه صفة المخلوق، وقد أحب، تبارك وتعالى، أن يكون بها؛ لأنه قد أراد وأحب أن يكون غير ما يعلم؛ لأنكم زعمتم أنه قد أحب أن يؤمن من يعلم أنه لا يؤمن. فقد أراد أن يكون ما علم، حتى يكون فى صفة من تكون الأشياء لا يعلمها!.. فإنهم لن يعيدوا لك هذا الكلام، واعلم أنه من أشد ما يلزمهم، إن أحسنت كلامهم فأحسن المسألة، ولا تتركهم يجيبونك بغير ما سألتهم عنه، ولا تنتقل عنها إلى غيرها، فإن فيها ما يفضحهم، ولا يجدون مخرجاً.

• جواب الناصر: لقد خلق خلقه كلهم للعبادة:

الجواب، قال أحمد بن يحيى الناصر لدين الله، صلوات الله عليهما: إن الله، تبارك وتعالى، خلق خلقه كلهم للعبادة، وأراد أن يطاع ولا يعصى، وأنه أراد لكلهم الرحمة والنجاة، ودخول الجنة والسلامة من النار.

والدليل على صدق قولي، وبيان حجتي، قوله، تعالى عز وجل: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)** ﴾ [(١)].

---

(١) سورة الزمر : الآيتان ٥٦ - ٥٧.

٦ و / وقوله لنبيه ، صلوات الله عليه وعلى آله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ** ﴾ (٢) ، و**الكافة**، فى لغة العرب : فهى الكلُ لا البعض، فصح وثبت أنه لم يخلقهم للكفر ولا للمعصية ولا للنار، ولا تلك إرادته ولا حكمه.

• لقد جعل الله عباده مخيرين، بما جعل فيهم من الاستطاعة :

وإنما خلقهم للعبادة والطاعة، لا من حاجة منه إلى ذلك، إذ هو الغنى عن كل شئ من خلقه، وإنما خلقهم رحمة لهم، وتفضلاً عليهم، ودلالة على الوحدانية وتعريفاً بالحكمة، وجعل فيهم الاستطاعة، وخيرهم فيها تخييراً، وركّب فيهم المقدرة ، وعلم أنهم إن أرادوا ، كلهم ، العبادة، أنهم يقدرون على ذلك، لما معهم من الاستطاعة .

وأنهم إن أرادوا المعصية أنهم يقدرون على ذلك، لما معهم من الاستطاعة أيضاً، فامتحنهم، عز وجل، بالأمر والنهى، ليميز المطيع من العاصى، من غير جهل منه بما يختارون، وجعل الثواب للمطيعين والعقاب على العاصين، ثم خيرهم تخييراً، ولم يقسرهم قسراً، وقال لهم: **من أطاعنى أدخلته جنتى، ومن عصانى أدخلته نارى، بعدْ** أمرى ونهى وإعذارى وإنذارى، وليس واحد من الفريقين مجبوراً على فعله، ولا مقسوراً على عمله، ولا مخلوقاً اكتسابه . ولا علم الله ، تبارك وتعالى، فيه وفيما يختار، بمُدخل له فى معصية ولا مُخرج له من طاعة، فأرسل إليهم الرسل لإثبات الحجة، وقطع العذر، لما مكنهم فيه من الاستطاعة والقوة على قبول الدين، ودلّهم على طريق النجاة، وحذّرهم من طريق الهلكة، وبين لهم الحق، وقد علم قبل خلق السموات والأرض، من يختار منهم الطاعة ويرغب فى الهدى، وعلم من يصد منهم عن الحق ويختار الكفر والظلم ويتبع الهوى، وليس **علمه بذلك منهم، يوجب عليهم حجة، ولا يزيل عنهم فريضة، ولا يوقع لهم عذراً، ولا يترك لهم إلى الاعتلال سبيلاً**، وقد علم، عز وجل، أن منهم من لا يؤمن ، **وقد أراد الله**، عز وجل، **منهم الإيمان طوعاً وتخييراً، ولم يرده منهم قسراً ولاجبراً**، لأنه لا يُغلب إذا أراد الحتم والقهر.

---

(١) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٢) سورة سبا : الآية ٢٨ .

وقد أدخلت ، **يا عبد الله بن يزيد** ، قولك : **«أرأيتم الذى لا يعلم ما يكون، أإله هو»؟!**، وهذا منك مغالطة وتشنيع وجهل بالعدل ، ونحن لم نقل : إن الله، عز وجل، لايعلم ما يكون!.. ومن قال ذلك فقد كفر، وخرج من دين الإسلام، ولعمرُ الله، إن الذى يجهل ما يكون ليس بإلهٍ ولا يُسمى عالماً ، وإن هذه صفة المخلوقين.

• الله عالم لايخفى عليه شئ :

٦ ط / وإنما قولنا الصحيح : **إن الله، عز وجل، العالم الذى لا يعزب عنه شئ . ولايخفى عليه خافية فى الدنيا ولا فى الآخرة**.. وأنه لما ذكرنا من الشرط فى صفة الخلق، وما جعل لهم من الاستطاعة وندبهم إليه من ترك الهوى ، وأرسل إليهم، وهو يعلم أن منهم من لا يؤمن، **وليس فى هذا تجهيل لله، عز وجل، ولا فساد**؛ لأنه قد علم أن خلقاً من خلقه سيكفرون [1] ولا يؤمنون، علم الله، عز وجل، قبل خلق كل شئ ، أن ذلك الكفر سوف يكون منهم، باختيارهم لا باضطرار اضطرهم إليه، تبارك وتعالى، ولا خلق أفعالهم ولا بقهر حملهم عليه؛ لأنه علم أن الكفر لا يكون إلا من كافر، وأن جميع المعاصى لا تكون إلا من العصاة.

وقد قال ، جل ثناؤه : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم** ﴾ [2] ، فأخبرنا، عز وجل، بعلمه فيهم، أن الحسد من عند أنفسهم لا من عنده، ولا من عند نبيه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إلا من عند أنفسهم خاصة، غير مضطرين ولا مجبورين ولا مجبولين.

• هل علم الله يمنع من معصيته أوطاعته ؟

ولوكان علمه، سبحانه ، مانعاً من معصية أو طاعة ؛ لما آمن من كفر، ولا كفر من آمن؛ لأنا وإياك قد رأينا فساقاً صاروا صالحين وصالحين، صاروا فاسقين ، وقد حكم الله، سبحانه ، فى كتابه وسابق علمه، أن من اضطر إلى شئ ليس له عنه غنى، ولا يستطيع غيره، أنه له حلالٌ وليس عليه فيه تباعة من الله، جل ثناؤه، إثم ولا عقوبة ولا عيبٌ ولا لوم؛ لعدل الله جل ثناؤه، وإتقان حكمته.

---

(١) فى الاصل : سيكفروا.

(٢) سورة البقرة : اية ١٠٩.

فقال، فى غير موضوع فى كتابه : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [1] ، فإن كان الله، عز وجل، هو الذى اضطر العباد، وحال علمه دون طاعتهم ، وحملهم على ما قالت المجبرة، وقلت أنت، يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، ومن قال بقولك من الجهال بدين الله، عز وجل، وبعدله من شتمه وتكذيب رسله وقتل أنبيائه، والجحود لكتبه وسفك دماء الأنبياء وأئمة الهدى، عليهم السلام، وجميع ما أسندتم إليه من الفواحش والردى والزنا والربا واللواط والخنا [2] والخمور والملاهى والغناء والتعطيل والشرك الذى لا يرضى، وجميع المعاصى التى أوجب الله، جل ثناؤه، على فاعلها النار والخلود فى العذاب المقيم، وما أسندوا إليه أيضاً من حملهم على نكاح الأمهات والأخوات والبنات، وأخذ الأموال وقطع الطرق، وغل الزكوات وشهادات الزور والتعطيل، وغير ذلك من جميع الظلم والعدوان والمكر، ٧ و / وجميع ماحرم الله ورسوله فى كتابه على لسان / نبيه ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم . .

فإن كان ذلك كذلك، فأنتم معذورون، وليس عليكم فيما اضطررتم إليه تباعة، ولاحجة ولا إثم فى الدنيا ولا فى الآخرة، وإذ كان المضطر عند الله، عز وجل، معذوراً وغير مذنب، وإلا فهلموا لنا حجة يصدقها القرآن، أن على المضطر، الذى لايستطيع ترك ما اضطره الله إليه، حرجاً أو عقوبة وإثماً ، أو عدواناً أو وزراً فى الدنيا أو فى الآخرة؟!. .

• الكذب ليس من عند الله:

وقد أعلمنا الله، جل ثناؤه ، بعيب المجبرة وفريتهم عليه، وبراءته [3] من فعلهم وإلزامه – إياهم – ظلمهم وكذبهم، فقال، عز وجل، يصف الكفار فيما أسندوا إليه مما كذبوا فيه عليه : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [4] . .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧٣ .

(٢) جاءت فى الأصل : والحنى .

(٣) فى الأصل : وبراته

(٤) سورة آل عمران : الآية ٧٨ .

فهذه شهادة الله، عز وجل، وهذه حجته القاطعة عليهم، **وقد أعلمنا، عز وجل، أن الكذب ليس من عنده**، وأعلمنا أن القوم الذين قالوا: إن الكذب من عنده . كذبوا عليه، وأنت، **يا عبد الله بن يزيد البغدادى**، تضع علينا الكتب، فى إبطال هذا البرهان والحجة القاهرة، وتسمينا أهل الفرى والكذب على الله، وأتخذ اصحابك قولك، المعاند للقرن ديناً وحجة على **أهل العدل** المؤمنين، وتركوا كتاب الله، جل ثناؤه، الذى هو شفاء [1] لما فى الصدور والمدحض لكل غرور، وقد سمعوا الله، عز وجل، يقول ﴿ **وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾ [2] فقالوا، مكابرة للعقول: بلى، هو من عند الله. وقوله: ﴿ **إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** ﴾ [3]، وقوله ، عز وجل: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** (١٠٣) ﴾ [4].

انظر كيف يحملهم الجهل وقلة النظر، والبغض **لأهل العدل**، على الخروج من واضح القرآن ومن فيه الإسلام، بردهم للقرآن بعد ما تبين.

فأى كفر وجحود، ومكابرة أو فرية ، أعظم أو اشنعُ، وأكبر عند الله، عز وجل، من أن يقول الله، جل ثناؤه: ليس من عندى، وأنا منه برئٌ وليس هو فى علمى.. وتقول المجبرة، بلى ، هو من عندك وأنت قضيته علينا!..

• لقد آمن فرعون عندما أراد الإيمان :

٧ ط / فشهدَتْ / باتباعه [5] للهوى، واستطاعته المركَّبة فيه، والتخيير فيها لا بالصد من ربه، ولا أمرُ حال بينه وبين الإجابة لموسى، صلى الله عليه، مع أن لنا فى فرعون حجة قوية قاطعة، لا يقدر أحدٌ لها على نقض، وأنه قد آمن حيث أرادَ الإيمان ورأى العذاب عياناً ، فلم ينفعه ذلك الإيمان الذى فعله ، لقول الله، عز وجل، ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ** ﴾ [6] ، وقد وجدنا فرعون قد آمن حين أراد؛ لأنه مخير ، وليس

---

(١) فى الأصل : سفا.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٨.
(٣) سورة النجم: الآية ٢٣.
(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٣.
(٥) أى فرعون .
(٥) سورة النساء : الآية ١٨.

بمجبور، وقد أخبرنا الله، عز وجل، بأصدق الشهادة عنه، أنه آمن حين لم ينفعه إيمانه، وذلك قول الله، عز وجل، يخبر نبيه محمداً، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، عن قصته حيث قال: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾** ﴾ [1]، فهذا يدل على إيمانه، حيث أراد الإيمان، وهذه حجة قاطعة، لمن يزعم أنه مجبور، وأنه محول بينه وبين الإيمان.

وكفى بهذه الحجة شاهداً لنا عليك، إذ زعمت أن الله لم يُرد إيمانه، لئلا يبطل علمه، زعمت، فقال الله، تبارك وتعالى، إذاً على فرعون: ﴿ **آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾** ﴾ [2] فهذا القول والإخبار من الله، عز وجل، يوجبُ لنا على **المجبرة** أن **فرعون** قد آمن من حيث أراد؛ لأنه مستطيع للإيمان؛ لأنه كان يمكنه ويقدر عليه، من قبل ذلك اليوم الذى غرق فيه لو أراده، فهذه حجة واضحة لا نقض لها، بحول الله وقوته.

وسأل **عبد الله بن يزيد البغدادى** وأصحابه **المجبرة**: هل أمر الله سبحانه، فرعون أن يكون منه الإيمان، أم لا؟

فإن قالوا: لم يأمره.

كفروا بأمر الله وكذبتهم الأمة، وإن قالوا: نعم، قد أمره الله بالإيمان.

فقل لهم: أمره الله أن يكون منه من الإيمان، ما قد علم أنه لا يفعله أبداً!.. فالله، عز وجل، بزعمكم وفى قود قولكم، ينهى عن الإيمان وليس يأمر به.

وإن قالوا: بلى، قد أمر به ليكون من فرعون من الإيمان ما قد علم الله، سبحانه، أنه لايكون منه، وليكون ذلك.

لزمهم ووجب عليهم فى قولهم: إن الله، عز وجل، أمر فرعون أن يجهله، بزعمهم، إذ أمره أن يكون منه غير ما يعلم؛ وقد علم الله، سبحانه، أنه سيجعل فرعون مستطيعاً لترك ما نهاه عنه، وقبول ما أمر به، وقد علم الله، سبحانه، أنه لن

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٠.

(٢) سورة يونس: الآية ٩١

٨ و / يكون منه إلا ما علم أنه جعله مستطيعاً لتركه، وجعل الغناء عنه والقوة على تركه، كما قد علم أنه لا يكون / منه ، من الإيمان ما قد جعله مستطيعاً لأخذه، وجعل له إليه الاستطاعة والسبيل، وعن غيره السعة والفسحة والمندوحة، ولم ينهه عن المعصية إلا لئلا تكون منه، ولم يأمره بالطاعة إلا لتكون منه الطاعة، **وليس العلم بحائل بينه وبين اتباع موسى**، صلوات الله عليه، والقبول لما جاء به.

وقد قال الله، جل ثناؤه، في كتابه المحكم: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ (١) وقد علم، عز وجل، أن الفتنة سوف تكونُ باختيارهم ، وكذلك قال لجميع الخلق: ليكن منكم الإيمان، ولا يكن منكم الكفر.

الأدلة القرآنية على أن أفعال العباد من أنفسهم :

فقد علم الله ، عز وجل، ما العباد عاملون، وما هم إليه صائرون باختيارهم واتباع أهوائهم، لا بقضائه عليهم ، ولا بتقديره لمعاصيهم ، ولا بخلقه لفعلهم، إذ لم يجز في حكمته ولا في عدله ولا في صدقه، ولا في حقائق أمره، ولا في واضح كتابه، أن يقول: ﴿ **فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا** ﴾(٢)، ويقول: ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٤)** ﴾(٣) ويقول : ﴿ **لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ** ﴾ (٤) ، ويقول : ﴿ **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١)** ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ **فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ(٩٨)** ﴾ (٦) ، وقال للمؤمنين : ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٧٢)** ﴾(٧) ، وقال : ﴿ **بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)** ﴾ (٨) ، وقال : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)** ﴾ (٩) ، وقال : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩)** ﴾ (١٠).

---

(١) سورة الانفال: الآية ٣٩.
(٢) سورة السجدة: الآية ١٤.
(٣) سورة السجدة : الآية ١٧ وكذلك جزء من الآية ١٤ الاحقاف، والآية ٢٤ الواقعة ، وجاءت خطأ في الاصل حيث قال: « جزاء بماكنتم تعلمون » ولم ترد في القرآن أبداً كذلك.
(٤) سورة المائدة : الآية ٨٠.
(٥) سورة البقرة : الآية ٨١ .
(٦) سورة هود : الآيتان ٩٧ – ٩٨.
(٧) سورة الزخرف : الآية ٧٢ .
(٨) سورة الحاقة: الآية ٢٤.
(٩) سورة الرحمن: الآية ٦٠.
(١٠) سورة النجم : الآية ٣٩ .

فأضاف ، تبارك وتعالى، فعل العباد إليهم، من الخير والشر، ولم يضف شيئاً من أعمالهم إلى نفسه، إلا ما دلهم عليه من أمره ونهيه وتفضله بكرمه، لا غير ذلك.

الرد على مقالة المجبرة أن الله خلق الإيمان والكفر:

قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما: وادَّعت (عليه) [1] **المجبرة** أنه، تعالى، خلق الإيمانَ والكفر. فجعلوا زنى الزانى مخلوقاً، وصلاة المصلى مخلوقة، وأن الله، عز وجل، هو الخالق لذلك كله!.. فلزمهم أنه شريك لهما جميعاً فى فعلهما، أو أن الزانى لم يكن ليزنى، حتى خلق فعله، وأن المصلى لم يكن ليصلى، حتى خلق فعله!.. **فنقول لهم عند ذلك**: فكيف أثابهم الله ، عز وجل، وعاقبهم على خلقه وهو يقول لهم : ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٤) ﴾ [2] ؟!.. فأفردهم بفعل ذلك، ولم يقل: جزاء بما كنتم تعملون، وأنا معكم فاعل لذلك الفعل الذى فعلتموه، فكان ذلك ٩ ظ / أعظم للمنَّة، وأقوى للحجة، جل الله وتعالى عما يقول المبطلون (**المفترون**) [3] وعلا علواً كبيراً .

ثم أعجب العجب أن هذا قولهم فى الله، جل ثناؤه، ثم [4] / يسمون **أهل العدْل قدرية مفترين**!.. قال الله ، عز وجل، ﴿ **وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً** [5] **أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا** [6] **فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** (١١٢) ﴾ [7] ، فإن كان الله، عز وجل، هو الذى خلق أفعال المشركين وقدَّرها عليهم، وحال بينهم وبين التوبة، بعلمه فيهم، ثم قال : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** ﴾ [8] ، وقال فى موضع آخر : ﴿ **وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (٧٣) **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**.... ﴾ [9] ، فنقول لك: عما ينتهون إذ كان الله، عز وجل، هو الذى قدر فعلهم، وكيف يدعوهم إلى التوبة وهم لا يقدرون عليها؟!.. زعمت، سبحان الله العظيم، ما أعظم فساد هذا القول.

وقال الله ، سبحانه: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا** (٨٨) **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** (٨٩) **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا** (٩٠) ﴾ [10] ، . وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن**

---

(١) جاءت زيادة على الهامش.
(٢) سورة السجدة : الآية ١٧ . . . أعاد المؤلف نفس الخطأ.
(٣) زيادة جاءت بالهامش.
(٤) تكررت الصفحات ٨ ظ، ٩ وفى التصوير.
(٥) جاءت فى الأصل : خطيه.
(٦) جاءت فى الأصل: بريا.
(٧) سورة النساء : الآية ١١٢.
(٨) سورة المائدة : الآية ٧٣
(٩) سورة المائدة: الآيتان ٧٣ - ٧٤.
(١٠) سوة مريم : الآية ٨٨ - ٩٠ .

يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا [1] فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [2] ، فإن كان القول على ما قلت ، لقد إذنْ دخل فيما عاب ، ورماهم بما فعل بهم، وقدَّره عليهم وقضاه من اكتسابهم ، إذ رمى الأبرياء ، ولولا قضاؤه [3] لم يفعلوا ما فعلوا، على قول المجبرة!.. وقد قال ، عز وجل: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [4]، ولم يقل: بما خلقت فيهم، ولا ما قضيت عليهم .

فهذا القرآن ينطق بتكذيبهم صراحاً ، وأنتم تكابرون العقول، وتغلطون على الناس، بآيات متشابهات في القرآن، جهلتم تأويلها ، ولها معان في اللغة العربية، تفسيرها عند أهل العلم بالدين، والمعرفة باللغة العربية، ولولا طول الكتاب لذكرت من ذلك ، من الآيات ما يبين فيها الحق، وساختصر من ذلك، في كتابي هذا ، ما فيه البيان والشفاء[5] لكل مسلم، إن شاء الله [6] .

ونحن نسالك أيضاً : حين قال الله ، عز وجل: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ [7]، أمن قضائه ومشيئته، وإرادته وخلقه لقول عباده وفعلهم، زعمت، أم من كفر الكفار وشركهم، وفريتهم على الله؟!..

فإن قلتَ : ذلك من إرادة الله وقضائه ومحبته .

لزمك أن السموات والأرض والجبال أردن التفطر والانهداد والانشقاق، من قضائه بهن وقدره وإرادته .

فإن قلت غير ذلك، فزعمت أنهن غضبن من قول الكفار وفريتهم على الله، جل ثناؤه، رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل .

* ونسأل عبدالله بن يزيد البغدادى عن علم الله، عز وجل، قبل أن يخلق الخلق: هل علم أنه سيأمرهم بالخروج مما علم أنهم عاملون؟

فإن قال: نعم، قد علم أنه سيأمرهم بذلك .

---

(١) جاءت فى الأصل : بريا .
(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .
(٣) جاءت فى الأصل: قضاؤه .
(٤) سورة الروم : الآية ٤١ .
(٥) جاءت فى الأصل : الشفا .
(٦) فى الأصل: إن شا.
(٧) سورة مريم : الآية ٩٠ .

هل أمرهم الله بالخروج من علمه أم من ذنوبهم ؟

١٠ و / قلنا له: أمرهم بالخروج من ذنوبهم، أو الخروج من علمه ؟

فإن قال: أمرهم بالخروج من علمه. كفر بالله العظيم، وبانت فضيحته؛ إذ لا مخرج لأحد من علم الله، عز وجل، من جميع خلقه.

وإن قال: أمرهم بالخروج من ذنوبهم.

بطلت دعواه في العلم وفلجناه؛ لأن الذنوب غير العلم، والذنوب من المعلوم. وبين العلم والمعلوم فرق عظيم، جهلته القدريةُ المجبرة.

الفرق بين الخروج من العلم والمعلوم:

وقد أمرهم الله، تبارك وتعالى، بإبطال المعلوم منهم، وليس في ذلك إبطال العلم، الذي هو من صفات الذات، ولافساده، وانكسر على عبدالله بن يزيد البغدادي قوله، وبطلت دعواه وزعمه، وبرأت[1] فيما زخرف من كذبه وفريته على الله، فضيحة[2] أهل العدل، وانهم لايجدون مما قال مخرجاً، زعم!.. وغلط الجاهل في دينه، فلينظر الآن أصحابه في جوابنا، ولينعموا النظر، وليتقوا الله الذي إليه المعاد، ولا يكونوا من أهل الآية التي قال الله، عز وجل: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[3]، فوالله ماصلوا للأحبار ولا للرهبان؛ ولكنهم كانوا يفعلون ما أمروهم به، فلذلك سماهم أرباباً لهم.

ثم ليعلم أصحاب عبدالله بن يزيد البغدادي أنه قد غشهم وغلط عليهم، وأهلكهم في دينهم، وصدهم عن رشدهم، وذلك جزاء[4] من ترك القرآن والقوام به، وقلَّد الرجال، والأحاديث المدخولة أمر دينه، وزهد في الفتش وإنعام النظر، واتبع الهوى بلا هدىً من الله، عز وجل، ولا طلب للنجاة بالبحث والتمييز، والحذر من الهجوم على من لا يَعْذُرُه؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم[5]، لاعذر في ذلك لمتعبدٍ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) في الأصل: وبات.

(٢) في الأصل: فضحة.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٤) في الأصل: جزا.

(٥) إشارة إلى الحديث الشريف: «طلب العلم فريضة على كل مسلم..» رواه ابن ماجة ١ / ٨١ (المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم)، وقد اختلف المحدثون حول صحته، ولكن السيوطي في الدر المنثور حسنه، وذهب المزي إلى ان مجموع طرقه ترفعه لرتبة الحسن، وذهب ابن عبد البر إلى ان معناه صحيح، وقال الألباني فيه ٤ / ١٢ (ضعيف جداً).. وانظر السيوطي، ص١٨٠ - ١٨١، وجامع ابن عبدالبر ١ / ٩.

* ونسأله أيضاً عن الخروج من الذنوب، أهوالخروج من العلم، أم الدخول فيه؟

فإن قال: بل الخروج من الذنوب هو الخروج من علم الله، عز وجل.

كفر بالله؛ لأنه يلزمه أن من أمر بالدخول فى شئ، فقد كان فى غيره، ومن أمر بالخروج من شئ، فقد أمر أن يصير فى غيره؛ لأنهم يزعمون أن العباد قد أمروا، بزعمهم، أن يصيروا فى غير العلم، إذ أُمروا بالخروج منه، فيصرون فى غير ما كانوا فيه، بزعمهم وعلى قود قولهم.

وإن قالوا: إن الخروج من الذنوب هو الدخول فى العلم. فقد أمروا أن يدخلوا فى العلم الآن، إذ كانوا فى غيره، بزعمهم. وقد علم الله، عز وجل، ما سيكون من العباد من البر والفجور، قبل أن يكونوا شيئاً مذكوراً.

١٠ ط / فاسمعوا عباد الله إلى ما قلنا، وافهموا ما شرحنا، وبه احتججنا / ثم انظروا لأنفسكم، وميزوا بعقولكم، فإن الإقدام على النار، الخطر العظيم، والهول الجسيم، والحسرة الباقية، فما بعد هذا الاحتجاج والبيان، إلا اتباع الهوى والميل عن الهدى، بلا حجة ولابرهان، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

* ونسأل عبدالله بن يزيد البغدادى: هل رضى الله، عز وجل، كل شئ علمه، أم رضى بعضه وسخط بعضه؟

فإن قال: رضى بعضه وسخط بعضه. رجع عن قوله، وصار إلى قولنا بالعدل، ونفى الجور والجبر وخلق أفعال العباد، إذ زعم أنه قد كان من العباد شئ لم يرضه الله، سبحانه، وهذا هو الحق، وهو قولنا.

وإن قال: إن الله، عز وجل، قد رضى كل شئ علمه، من بر أو فجور، أو كفر أو غرور، ولايكون - زعم - إلا ما يرضى ويحب، من البر والفجور، فحينئذ صار من حزب الشيطان.

ثم يقال له عند ذلك: هل يسع العباد فى دين الله، عز وجل، الذى افترض عليهم، إلا بأن يرضوا ويحبوا ويريدوا لله، عز وجل، وللرسول، ﷺ، ما رضى الله، عز وجل، وأحب وأراد وشاء [1] لنفسه، ولنبيه، ﷺ؟!

---

(١) جاءت فى الأصل: شا.

فإن قالوا: لا يسعهم إلا ذلك، ولا يجوز لهم فى الدين غيره.

قيل لهم: أليس ترضون وتحبون وتشاؤن، أن تؤذوا الله ورسوله والمؤمنين .. وأن يقال لله، عز وجل، أنه اتخذوا ولداً وأنه ثالث ثلاثة، وأن نبيه، صلى الله عليه وعلى آله، ساحرٌ كذَّابٌ، وأنه رضى بقتل الأنبياء [1] وأئمة الهدى، والآمرين بالقسط من الناس؟!

فإن قالوا: لا يسعنا ولا يجوز غير القول بهذا؛ لأن الله رضيهُ وقضاه، وأراده وأحبه وشاءه [2] وخلقه من فعل العباد، إرادة لنفسه ولنبيه وللمؤمنين، فلا يسعنا ولا يجوز لنا إلا أن نرضى بما رضى الله، سبحانه، وأراد وأحب وشاء.

لزمهم فى قولهم أن يرضوا بشتم الله، عز وجل، وشتم رسله، صلى الله عليهم، وقتلهم وقتل الأئمة والمؤمنين، وقول **اليهود عزير بن الله**، وقول **النصارى: المسيح بن الله**، وقول الكفار: إن الله ثالث ثلاثة، وأن له صاحبة وولداً وشركاء، وقولهم: إن يده مغلولة، وكل عىٍّ نسبَه الكفار إلى الله، عز وجل، عز عن ذلك وعلا علواً كبيراً، وما نسبوا إلى رسوله، صلى الله عليه وآله وسلم، من السحر والشعر والكهانة والكذب، وأنه يُعلمه بشر، وأنه مجنون.

وإن قال: لا يرضى بهذا ولا يحبه ولا يريده ولا يشاءه ولا يعتقده، ولا يقول به. ١١و / كفر بدينهم الذى كان عليه، وخرج عن مذهبه، وانتقض جميع ما وضعه لهم **عبدالله بن يزيد البغدادى**.

* ونسالهم أيضاً عن قوله، عز وجل: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)** ﴾ [3] من عنى الله، جل ثناؤه، بهذا القول، الملائكة والأنبياء والمرسلين والأئمة الراشدين، أم عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى؟

فإن قالوا: عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى وجميع العصاة.

لزمهم أنهم قد رجعوا عن قولهم، وأقروا لنا بقولنا، ولابد لهم من جوابنا فى هذا الباب، والإقرار به أو الكفر بالآية.

---

(١) جاءت فى الأصل: الأنبيا.

(٢) جاءت فى الأصل: شاه.

(٣) سورة محمد: الآية ٢٨.

وإن قالوا: عنى به الملائكة والأنبياء والمرسلين، وكفروا بالله صراحاً، وخرجوا من دين الإسلام، وإنما لزمهم ذلك؛ لأن من قولهم: إن كل شئ عمله العباد فبقضاء الله وقدره، وإرادته ومحبته ومشيئته، وخلقه لذلك الفعل منهم. فبهذا ألزمهم الكفر، وأكذبتهم الآية في قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾.

ثم نسأل **عبدالله بن يزيد البغدادي**: هل كان رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يرضى من الكفار بما يرضى الله منهم، أم دعاهم إلى غير ما لا يرضى الله، سبحانه، ولا يريد؟.. فإنه لا يستقيم لهم، في قولهم الذي يعتقدون، إلا أن يقولوا: إن النبي، صلوات الله عليه وعلى آله، دعا العباد إلى ما لا يرضى الله ولا يريد ولا يشاء[1] ولا يحب، وأن **الشيطان وفرعون وهامان** وأتباعهم، كانوا يدعون العباد إلى ما أحب الله ورضي وشاء وأراد وقضى[2] وقدر، وخلق من فعل العباد، من عبادتهم للأوثان، وشتمهم الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات، وقتلهم وظلمهم.

أيُّ العبدين أحب إلى الله، عز وجل، وأكرم عليه، عبدٌ يدعو الناس إلى ما لا يحب ولا يريد ولا يرضى ولا يشاء[3] ولا يقضي ولا يقدر ولا يخلق؟ أم عبدٌ يدعو[4] الناس إلى ما أحبَّ الله ورضي وشاء وقضى[5] وقدَّر وخلق من فعل عباده؟

فيجبُ في قولهم، زاعمين: **إن الشيطان وفرعون وأبا جهل بن هشام وقارون وهامان** وإخوانهم أحب إلى الله، عز وجل، من محمد، صلى الله عليه وعلى آله، ومن جميع الرسل ومن أئمة الهدى ومن المؤمنين والصالحين.

فإن قالوا: إنا نشنعُ عليهم، ونقول ما لم يكن منهم. قلنا: أفليس هذا احتجاجهم، وقولهم في كتاب **عبدالله بن يزيد البغدادي** يشهد على ما قلنا؟!.. وأن جميع الخلق ١١ط /من أهل المقالات يعلمون أن **المجبرة والخوارج** يقولون كلهم../ إن كل شئ في الأرض بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته[6] ومحبته، وأن أفعال عباد الله، خلقها وقدَّرها، وأنه إذا كان لأحدهم ابن فاسد أو به عاهة، وهو على ضلال أو فسق، وسأله عنه أحدٌ من الناس، قال: ذلك رجلٌ كما شاء الله له، وذلك رجل كما أحب

---

(١) في الأصل: يشا.
(٢) في الأصل: شا ... وقضا.
(٣) جاء في الأصل: يرضا ولا يشا.
(٤) وردت في الأصل: يدعوا.
(٥) وردت في الأصل: وشا وقضا.
(٦) وردت في الأصل: بقضا ... ومشيئته.

الله، وذاك رجلٌ كما قضى [1] الله عليه ، وذاك رجل كما قدر الله عليه أن يكون وأراد .

• أمثلة من افتراءات المجبرة على الله :

وإذا كان له ابن صاحب عفاف وصلاح ، فَسئُل عنه قال : ذلك رجل كما تُحبُ ويسرّك، وكما ترضى وتريدُ . ولم ينسب ذلك الصلاح والعفاف إلى الله، عز وجل، كما نسب إليه فسق الفاسق، وفعل ذى العاهة وفساد الفاسد!!

ثم تسمع من قولهم، إذا أخذوا فى الأحاديث ، وذكروا المدن، قال القائل منهم سبحان من خَرَّبَ **البصرةَ**، ولعن الله من خرَّبَ البصرة، فبينما هو يُسبحه إذ لعنهُ ! جهلاً منهم بعدل الله، عز وجل، والفرق بين فعله وفعل الآدميين [2] ، وقلة معرفته بحدود المنطق وواجب العدل. ومن شأنهم أن يقول الواحدُ منهم: كنتُ أهوى فلانة الفاسقة ، فخرجتُ فى طلبها البارحة فلقانيها [3] الله، كما أحب وأشتهى.

وفى هذه الكلمة كفران اثنان عظيمان فاحشان، أما واحد: فكذبه على الله، عز وجل، وإسناده إليه ما هو منه برئ [4] أنه ، زعم، أحب وشاء، **والآخر قوله**: كما أحبَّ الله وأشتهى، والشهوة لا تكون إلا من الآدميين، ولا يجوز أن يقال: اشتهى الله؛ لأن هذا تشبيه، وإنما يجوز أن يقال : شاء الله، عز وجل، فافهم هذا الباب.

ثم يقولُ هذا **المجبر** الجاهل : فباتت فلانة معى فى أَسَرِّ ليلة وأحسن مجلس، فلما كان فى آخر الليل جاء الشيطان، فألقى [5] فى قلبها بليَّةً، فأفسدها علىَّ ، فقالت: لست أقعدُ، وأنا أخرج من عندك . فخرجت وتركتنى.

فنسب – الملعون – إلى الله ، عز وجل عمَّا قال، أنه الذى ألقاها إياه، ونسب إلى الشيطان أنه الذى سَوَّلَ لها الخروج من عنده !.. فأى كفر أعظم من هذا الكفر، وأى جهل أعظم من هذا الجهل الذى احتج به **عبد الله بن يزيد البغدادى فى نصرته والقيام** بعذر أهله ، والإبطال للكتاب والعدل والحكمة!..

---

(١) وردت فى الأصل : قضا.
(٢) وردت فى الأصل : الآدمين.
(٣) وردت فى الأصل : فلقانها.
(٤) وردت فى الأصل : برى .
(٥) وردت فى الأصل: جا .. فزلقا .

ومن ذلك وضعه علينا كتاباً يبطل به العدل، زعم، ويثبت حجج الكفار والزناة والفساق، ويُلزم الله، سبحانه، وما أسندوا إليه ورموه به من العظائم والقبائح، قدوس رب العالمين .

* ومن قولهم أيضاً المعروف بينهم، أن يقعدَ الواحد منهم يحدث أصحابه وإخوانه ١٢و / فيقول : كنا البارحة نشربُ الخمر ثم انقطع بنا، فلم يبق معنا خمرٌ، فبينما / نحن كذلك إذ رزقنا الله قرابة [١] خمرٍ ، فأتممنا بها آخر مجلسنا .

أفهذا القول وأشكالهُ يضع فيه عبدالله بن يزيد البغدادى الحجج، ويقول لأصحابه: قولوا لأهل العدل كذا وكذا [٢] ، فإنهم لن يقدروا لكم على جواب، ولن يقوموا معكم بحجة ؟!.. فسيعلم ما يرد عليه من الجوابات فى هذا الكتاب، بحول الله وقوته: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ [٣] .

* وسألهم [٤] عن قول الله، عز وجل، فى كتابه: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [٥] ، فسلهم: أرضى الله ذلك القول، أو لا ؟

فإن قالوا: نعم، قد رضى الله بذلك القول الذى بيَّتوُا . ردوا على الله، عز وجل، قوله، وكفروا بالآية، ﴿ إذ يقول ﴾ [٦]: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ . (وهم يقولون : بلى ، قد رضى وأراد وأحب، ذلك الذى يبيتون من القول، وقدره عليهم)[٧]!!

وإن قالوا: لم يرضه . رجعوا إلى قولنا، وتابعونا وتركوا قولهم بالجبر؛ لأنه لا يرضى أحدٌ [٨] إلا بما يريد .

* ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم

---

(١) وعاء من جلد يخرز من جهة واحدة.
(٢) وردت فى الاصل : كذى كزى.
(٣) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .
(٤) وردت فى الاصل: وسالهم.
(٥) سورة النساء : الآية ١٠٨ .
(٦) تكملة من الهامش.
(٧) تكملة جاءت بالهامش.
(٨) جاءت فى الاصل: يرضا.

مُنتَهُونَ (٩١) ﴾[١] ، فقد أعلمنا الله ، عز وجل، أن هذا كله من إرادة الشيطان ، ليس من إرادة الله ، عز وجل عن ذلك وتعالى ، وأنه من فعل الشيطان، وليس من فعل الله، عز وجل، فهذا من خبر الله، سبحانه ، وهذا كتابُ الله يشهد لنا عليهم، والله شاهد على كذبهم عليه: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) ﴾[٢] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾[٣] ، وقد قال الله، عز وجل: ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[٤] ، فما بعد هذا من الحق والبيان والعدل والحكمة والحجة الواضحة، فلا يبعدُ[٥] الله إلا من ظلم ، فإن ردوا على الله، عز وجل، قولهُ كفروا، فأما حجتهم فقد بطلت، والحمد لله رب العالمين.

***

ثم قال **عبد الله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم هل يستطيعون أن يكون منهم غير ما يعلم الله أنه كائن؟

فإن قالوا: نعم قد يستطيعون ذلك.

فقل: فإن شاء[٦] العباد كان منهم ما لا يعلم الله ؟..

فإن قالوا: نعم، فقل : أخبرونى عمّا لا يعلم اللهُ أنه كائن، ما هو؟

فإنهم لن يجدوا شيئًا ، وسيخبرونك أن ما لا يعلم الله أنه كائن، فليس بشئ.

فقل لهم: أخبرونا عن قولكم : إنهم لا يستطيعون أن يأتوا بما لا يعلم الله، وأنتم تقولون: هو ليس بشئ. وهل كلفهم الله أن يأتوا بلا شئ؟!..

فإن قالوا : بلى[٧] قد يستطيعون أن يأتوا بلا شئ.

فقل: أشئٌ يعلمه الله، أم شئ لا يعلمه الله أنه كائن؟

فإن قالوا: شئ لا يعلمه الله.

فقل : هل شئ كان أو يكون لا يعلمه الله؟

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠ - ٩١ .

(٢) سورة الجاثية: الآية ٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٥١ .

(٥) فى الأصل : بيعد.

(٦) فى الأصل: شا.

(٧) جاءت فى الأصل: بلا.

فإن قالوا: نعم، إن الله قد يجهل شيئا لا يعلمه. فقد أمكنوك من أنفسهم، وإن ١٢ط / قادوا لك حينئذ كلامهم، أشركوا بترك أهل [١] / القبلة.

وإن هابوا ولم يقودوا، فلا تعجل عليهم ولا تنحلهم [٢] الشرك، وردّهم إلى أوّل الكلام، فقل لهم: أليس [٣] لا تستطيعون أن تاتوا بشئ، إلا قد علمه الله أنه كائن منكم [٤] ؟..

فإن قالوا: نعم، إنا كذلك نقول: إن الله قد علم ما هو كائن من العباد، قبل أن يكون منهم، فليسوا يستطيعون تغيير ما علم الله.

فهذا قولنا، ولا تتركهم يتحوّلون، ولا يدخلون وجهاً فى وجه آخر، والزم كل مسالة[٥] منها إلى منتهى [٦] قودها، فإنه أقدر لك على حاجتك منهم.

الله يعلم كل شئ:

الجواب: قال الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما، هذا الكلام إعادةٌ منه فى السؤال عن باب العلم، وقد مضى فى الجواب منا إليك، فى المسالة [٧] التى قبل هذه، ما فيه كفاية، غير أنا لابد نجيبك، ونحن نعلم أن أحداً من أهل القبلة لا يُصدقك أن أحداً يقول: إن الله، عز وجل، يجهل بعض الأشياء ولا يعلمه، وأنا، زعمت، إنْ قلناه أمكنا من أنفسنا.

هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله منه:

وليس ذلك قولنا، ونحن أهل التوحيد الصحيح، الذى وُرِّثَ عن الأنبياء، صلوات الله عليهم، وعن أئمة الهدى، عليهم السلام، ولولا نحن لظهرت الزنادقة فى البلاد[٨]، ودعوا إلى دينهم صراحاً، وأما قولك: إن العباد لا يستطيعون أن يأتوا بغير ما علم الله. فهذا قولك، زعمت، واعتقادك، وتقول لصاحبك أن لا يتركنا نتحوّل

---

(١) مطموسة فى الأصل.
(٢) فى الأصل: نتخلهم.
(٣) وردت فى الأصل: البسوا.
(٤) وردت فى الأصل: منهم.
(٥) وردت فى الأصل: مسلة.
(٦) وردت فى الأصل: منتها.
(٧) وردت فى الأصل: مسلة.
(٨) يقصد الباطنية حيث قضى هذا الإمام عمره فى جهادهم.

عنه، فهذا قليل من جهلك وغلطك، كيف لا يتركنا أن نحتج عن مذهبنا، ونقطع من خالف الحق بنور الله، عز وجل ولطفه؟

إذ زعمت أن من عَلِمَ الله، جل ثناؤه، منه أنه لا يستطيع أن يأتى بغير ما علم الله منه، فلم يهده [1] إلى ترك ما علم منه من عبادته للأصنام، وأكله للحرام، وظلمه للأيتام، واكتسابه للآثام، إذ كان العلم هو الذى حال بينه وبين اتباع الرسل، وإجابة الكتب، والدخول تحت لواء الإسلام، وقلت : هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله، عز وجل ، منه؟

جواب الناصر:

فالجواب فى ذلك ، بحول الله وقوته، أنا نسألك عن حجة الله، تبارك وتعالى ، على خلقه، أتامةٌ هى بالغة ، أم ليست بتامَّةٍ ولا بالغةٍ؟

فإن قالوا: بلى هى تامةٌ بالغة. **فقل لهم**: ما تمامها ؟ أليس وجود السبيل إلى الاستطاعة إلى ما أمر الله به، عز وجل، ودعا إليه من الدخول فى دينه، والإجابة لرسله والاتباع لكتبه؟..

١٣ و / فإن قالوا : لا ، تمامها وبلوغها بلا سبيل ولا استطاعة / إلى ما دعا الله ، عز وجل ، إليه ، ولا إلى ما أمر الله به ولا إلى ما نهى عنه.

كفروا، ولم يجدوا حجةً، ودخل عليهم فى قولهم: إنها وعد خلف وغرور، وأنه دعاهم فى زعمهم، إلى شئ فى العلانية، وحال بينهم وبينَهُ فى السر، فوصفوا الله ، جل ثناؤه، بالصفة التى وصف بها المنافقين، وكفى [2] بهذا كفراً ، وقد علم الله، عز وجل، أن الكفار يقولون : إنه ثالث ثلاثة وأن له صاحبةً وشركاء ، وأن الملائكة بناتُه، وذلك قوله، تعالى ، يرد عليهم: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾** ﴾ [3]، فإذا كان قد علم هذا، فَلِمَ افترض عليهم تركَهُ، وقد علم أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بغير ما علم منهم؟.. فيلزمه أنه قد

---

(١) وردت فى الأصل: يديه.

(٢) وردت فى الأصل : كنا .

(٣) سورة الزخرف . الآية ١٩

افترض عليهم الخروج من علمه ؟!.. هذا يلزم في الحجة، لابُدَّ لهم منه، فإن قالوا بذلك، لزمهم أن للناس مخرجاً من علم الله، جلَّ وعزَّ وتعالى، وهذا رأس الشرك، وغاية العمى [1] والجهل ، كفى بهذا كفراً.

***

ثم قال **عبدالله بن يزيد البغدادي**: ثم سلهم فقل: أخبروني عن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله ، حين جاء يدعو الناس إلى شئ يعرفونه جميعاً معرفةً واحدة، أم جعل بعضهم يعرف وبعضهم لا يعرف؟..

فإن قالوا: جعل كلَّهم يعرفون ما دعاهم إليه، معرفة واحدة. فقل (فسلهم) عند ذلك: أليس جميع المشركين قد عرفوا أن الله واحد، وأن محمداً رسوله ، ﷺ، وأن ما جاء به فهو حق؛ لأن المؤمنين قد عرفوا ذلك، وهم مثلهم في المعرفة؟..

فإن قالوا: نعم. فأثبت عليهم هذا القول، ثم سلهم عمن وصف الله أنه لا يسمعُ ولا يبصرُ، أرأيتم حيث ما قال الله: ﴿ **الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴿١٨﴾ ﴾ [2] ، أتصفونهم يعلمون، والله يقول بأنهم لا يعلمون؟!!..

وحيثُ يقولُ: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ** ﴿١٨﴾ ﴾ [3]، فكيف تصفونهم أنهم يبصرون ويسمعون؟!.. فإنهم لا يعطونك أن خلقه جميعاً يعرفون ما تعرف الرسل والمؤمنون، من توحيد الله ، عز وجل، ورسالاته وجنته وناره، والله يصفهم بغير ذلك؟

يعلم الرسل ما لا يعلم غيرهم :

الجواب قال الناصر بن الدين أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: أما قولك: إن الرسل تعلم من توحيد الله والعلم ما لا يعلم غيرهم، وكذلك المؤمنون يعلمون من التوحيد والعلم ما لا يعلم المشركون.

فإنا نقول: إن الرسل، عليهم السلام، عندهم من العلم ما ليس عند أحد لحاجة الناس إليهم / وعليهم أن يعلّموا الناس جميع ما افترض الله، عز وجل، عليهم من

---

(١) وردت في الاصل: العما.

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى، : ﴿ ..ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الجاثية: الآية ١٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨.

١٣ط / معرفة دينه، وليس عند الخلق إلا ما علمتهم الرسُل والمؤمنون، وقد كانوا قبل مجئ الرسل لا علم لهم، ولا معرفة عندهم ولا دين. حتى تعلموا وطلبوا العلم، فصاروا علماء مؤمنين.

وكذلك يجبُ على جميع المشركين والظالمين، أن يطلبوا العلم ولا يقصروا فيه، ويدخلوا فى الحق، حتى يصيروا علماء.

وإنما عاب الله، عز وجل، عليهم أنهم لا يعلمون ولا يبصرون ولا يسمعون، وأنهم صمٌ بكمٌ، إذ تركوا ذلك الذى أمروا به، مكابرة ومعاندة، وسماهم بكماً وصُمَّاً وعمياً، إذ تركوا العلم والحق والرشد، وهم يقدرون على طلبه وأخذه والدخول فيه، والتعليم له من رسل الله، صلوات الله عليهم، ومن أوصيائهم [١] من بعدهم، ومن العلماء فى كل عصر [٢]، ولو كانوا عمياً وصماً وبكماً لا يسمعون الأصوات، ولا يفقهون كلام الرسل، ولا يعرفون تأديتها لدين الله، عز وجل، وتبليغها ولا ما تدعوا إليه من كتب الله، وبها ما كان عليهم لله، عز وجل، حجةً، ولا لزمهم عذاب أبد الأبيد، إذ كانوا صُمًا وبكماً لا يعقلون ولا يسمعون ما دُعوا إليه من دين الله، جل ثناؤه.

اتفاق أهل الإسلام على أن الله أمكن الناس من معرفة دعوة الرسل:

والدليل على ذلك فى حكم جميع أهل الإسلام، أنه لا حجة على الأصم فيما لا يسمع، ولا على الأعمى فيما لا يبصر، ولا على الأبكم فيما لا يعقل، ولا على الأعرج ولا على المقعد، وقد عذرهم الله، عز وجل، فى القرآن.

استثناء أهل الأعذار:

فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [٣]،

---

(١) تقول **الشيعة** بالوصية، وأن النبى أوصى لـ**على بن أبى طالب**، وذريته من بعد بالإمامة، وهى مرتبة لا تنبغى إلا لهم، يجمعون فيها بين السلطة الدينية والزمنية، واجتهادهم وعلمهم حجة على الخلق، ولذا فهم معصومون كالأنبياء، غير أن **الزيدية** لا تقول بها.

(٢) باب الاجتهاد مفتوح عند **الزيدية** وهو واجب على الائمة والعلماء فى كل عصر.

(٣) سورة الفتح: الآية ١٧

وأما المعتوه فهو الذى لا يعقل فليس يلزم فى الحكم أن يجلد إن زنا، ولا يقتل، ولا تقطع يدُهُ إن سرق، ولا يؤاخذ[1] على شئ من جميع فعله، وكذلك لا جهاد على الأعرج ولا على الأعمى [2]، ولا على المريض، هذا المعروف فى حكم الإسلام الذى لا حيلة لك فيه، وقد بان جهلك وصحَّ خطؤك [3] وكذبك على الله، عز وجل، أنه لو كان القوم الكفارُ الذين ذكرتهم وقمت بعذرهم، وألزمت الله، عز وجل، الجور فى عذابهم، إذ كانوا بكماً وصماً، لا يعلمون ولا يعقلون على الحقيقة لا على المجاز، ثم عذبهم الله، جل ثناؤه، ثم خلدهم فى نار جهنم الأبد الأبيد، إن هذا لهو أعظم الجور الذى وصفت به ربَّك، عز وجل، عن ذلك، العدل الذى لا يجور، فهذا ما جهلته واخطأت [4] فيه، وقلت: إن أهل العدل لا يقدرون لك على جواب!..

١٤ و / على أنا نقول: أين كنت عن قوله، عز وجل، بخبر نبيِّه، صلى الله / عليه، عن المشركين، حيث قال له: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[5]، وقالوا فى الأصنام ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [6]، وقوله، عز وجل: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [7]، وقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾[8]، وقوله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [9]، وقوله: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [10].

سماها ولم يجبرها:

وقوله، عز وجل، يخبرُ عنهم: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِم ﴾ [11]، أى سمَّاهم وحكم عليها بالطبع، لا أنه جبرها على ذلك، فيلزمه دعواك.

مثل قوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [12]، أى سمَّاها زائغة بفعلهم، ومثل هذا كثير فى القرآن.

---

(١) وردت فى الأصل: يواخذ.
(٢) وردت فى الأصل: الاعما.
(٣) وردت فى الأصل: خطاؤك.
(٤) جاءت فى الأصل هكذا: واحطات.
(٥) سورة الزمر: الآية ٣٨.
(٦) سورة الزمر: الآية ٣.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٤٤.
(٨) سورة المجادلة: الآية ٨.
(٩) سورة النمل: الآية ١٤.
(١٠) سورة العنكبوت: الآية ٣٨.
(١١) سورة البقرة: الآية ٨٨.
(١٢) سورة الصف: الآية ٥.

وأما قولُكَ: هل عرف بعضهم ولم يعرف بعض؟ قال **أحمد بن يحيى**، صلوات الله عليهما، وهل اختص الله أحداً دون أحد بدينه ؟!.. فهذا قول فاسدٌ.

والقول الصحيح : إن الله، عز وجل، بعث رسوله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، إلى الخلق كافَّة ليطيعوه كافة، لم يختص أحداً دون أحد، ولم يؤثر أحداً على أحد، إلا الرسل، صلى الله عليهم، فقد اصطفاهم، لما علم منهم أنهم لا يختارون معصيته أبداً، وقد فضَّل بعضهم على بعض بما اكتسبوا؛ لا أنه جار عليهم ولا حابى [1] ولا مالأ [2]، واختيارُهُ لهم فإنما كان بعلمه، عز وجل، بصحة ضمائرهم ، وأنهم موضع ما استؤمنوا عليه. وقال في كتابه: ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٣٢﴾** ﴾[3]، والحجة على الخلق لله، عز وجل، في طلب دينه والدخول فيما دعاهم إليه، لا عذر لهم، ولا حجةً على الله، عز وجل، لمدَّعٍ منهم، ومن هيج مشيئته في الطاعة هاجت، ومن هيج مشيئته في الكفر هاجت.

لم يحل الله بين أحد والهداية :

وليس على أحدٍ كُره في دين، ولا قسر ولاجبر، ولا مانعٌ يمنعه عنه، ولا حائل يحول بينه وبينه، ومن قال بذلك فقد كفر وأبطل القرآن وخرج من الإسلام، لقول الله، عز وجل، يحكي عن نبيه، عليه السلام: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾** ﴾ [4]، وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [5]، وقوله: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [6]، وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾** ﴾ [7]، وقوله: ﴿ **..يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾** ﴾ [8]، وقال: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾** ﴾ [9]، ولم يقل: والذى قدَّرَ فاضلاً!.. وقوله: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾** ﴾ [10]، وقوله: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾ [11]، وقوله ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ**

---

(١) اختصه ومال إليه. ووردت في الأصل: حابا.
(٢) ساعده وعاونه. ووردت في الأصل: مالا.
(٣) سورة الدخان: الآية ٣٢.
(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٨.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(٦) سورة النساء: الآية ٨٠.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.
(٨) سورة الأنعام: الآية ٥٧.
(٩) سورة الأعلى: الآيتان ٢-٣.
(١٠) سورة الليل: الآية ١٢-١٣.
(١١) سورة فصلت: الآية ١٧.

عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ ١٤ظ / عَلِيمٌ (٤٢) ﴾ [١] وقوله: ﴿ وَمَا / كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) ﴾ [٢]، وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) ﴾ [٣]، وقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ [٦]، وقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ [٧].

أفلا تسمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحجج القواطع من الله، عز وجل، والمبطلة لجبرك، والقاهرة لحججك. أهذا أيها الجاهل قول من جبر خلقه على الكفر وصدهم عن الهدى، وأراد لهم الضلالة والردى، سبحانه الله وتعالى عما يصفون!..

* وأما قولك: إن الله، عز وجل، لم يُعط الخلق ما يأخذون به ما أمرهم به من دينه، ففريةٌ منك على الله، جل ثناؤه، وتكذيبٌ لكتابه وطعنٌ على عدله، وإثبات لعذر من عصاه من المشركين، وافترى [٨] عليه من الظالمين.

* وأما سؤالك عن قول الله، سبحانه: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) ﴾ [٩].

لم يقسرهم ولم يجبرهم على حبه أو كرهه:

الجواب قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: فإن الله، عز وجل، لم يجبرهم بذلك التحبيب، ولا بذلك التكريه، جبراً ولا قسراً، ولا جعله في قلوبهم، كما يجعل الشئ في الشئ، مثل السيف في الغمد، والماء في الراوية، وإنما جعل ذلك التحبيب والتكريه، عز وجل، بالدعاء لهم، والتشويق إلى الجنة، وما أعدَّ الله، جل ثناؤه، فيها من النعيم المقيم والفوز العظيم، وما وصف من القصور، وما فيها من

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٢.
(٢) سورة القصص: الآية ١٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٤) سورة الإنشقاق: الآيتان ٢٠ - ٢٤.
(٥) سورة المدثر: الآية ٤٩.
(٦) سورة المائدة: الآية ٧٤.
(٧) سورة المائدة: الآية ٧٣.
(٨) جاءت في الاصل: وافترا.
(٩) سورة الحجرات: الآية ٧.

نواعم الحور والأنهار الجارية، والثمار الدائمة، والأفنان الدانية، وأنهار العسل واللبن والماء والخمر، الذى لا يشبه شيئاً [1] من نعيم الدنيا، فهذا التحبيب بالصفة، لا أنه، سبحانه، أكرههم عليه جبراً، وكونه فيهم قسراً، وكذلك التكريه للكفر، إنما هو بما خوَّف وحذَّر، وأعذر وأنذر، ووصف من السلاسل والأغلال والحميم، والسحب على الوجوه، والمهل والزقوم والغسلين، وقوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ [2]، فهذا معنى التحبيب والتكريه، الذى جهلته لا غير ذلك، ولو كان على ما ذهبت إليه وغيرك، ومن قال بقولك من **أهل الجبر**. لم يقل، عز وجل: ١٥و/ ﴿ **جزاء بماكنتم تعملون** ﴾، ولوجب أن يقول: جزاء بما عملتُ / أنا فيكم، وصوَّرتُه فى قلوبكم، قسراً وجبراً، والله، عز وجل، متعال متقدس عن قول المحال، وخلق الأفعال، وإرادة الضلال، ومشابهة الجهال، والدخول فيما عملوا من الأعمال.

التوحيد لا يختلف ولا يتناقض:

وأما ما سألت عنه من اختلاف التوحيد، فالتوحيد لا يختلف ولا يتناقض، ولا يبطل شئ منه، لأنه دين الله، عز وجل، الذى لا يدخل الجنة إلا بمعرفته، وسائر الفرائض، فهى تبعٌ له وللعدل.

فما نعلم التوحيد يختلف فى قول أحد إلا معكم، فإن توحيدكم الذى سميتموه توحيداً، هو الذى يختلفُ ويتناقض، لما شبهتم الله، عز وجل، بخلقه الجائرين وعبيده المفسدين.

معرفة العدل والتوحيد فريضة:

وليس يجوز لأحد من الخلق جهل بعض صفة الله، عز وجل، بل معرفة العدل والتوحيد فريضة لازمة لجميع أهل الأرض، من البالغين الكاملة عقولهم، لاعذر لأحد فى ذلك؛ لأن العدل والتوحيد أصل الإسلام، وقوام الدين، ولا يستقيم اعتقاد (واحد)[3] منها إلا باعتقاد الآخر، ولم يضع الله، عز وجل، علم التوحيد ولا العدل، عن مكلف من جميع الخلق..

---

(١) جاءت فى الأصل: شيا.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٦.

(٣) مكتوب بالهامش.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عمن أقر بأن الله، عز وجل، **قادرٌ** ، ولم يقر بأنه **فاهمٌ** .

فاهم من صفات الخلق :

الجواب قال أحمد بن يحيى، رضى الله عنه : هذا عندنا سؤال من لم يعرف الله، عز وجل، ولا توحيده، وهذه المسألة مسألة فاسدة، لقولك فاهم، فقولك: فاهم، كفر بالله العظيم؛ لأن فاهم من صفات الخلق، إذْ منهم من يفهم ومن لا يفهم، والفهم من صفة المخلوقين ، وذلك عن الله، عز وجل، منفيٌ .

وقولك: فاهم. فهى خارجة من اللغة العربية، فلزمك الخطأ فى وجهين، فى **التوحيد واللغة** جميعاً، وإنما تقول العرب: رجلٌ فَاهِمٌ ، ولا تقول فهم، وهذه اللفظة من جهل بالتوحيد لا يجوز أن يوصف الله، عز وجل، بِفَهِمٍ ، وقول القائل: **الله عالم** . يجزئ عن ذلك كله، ومن قال – زعمت – إنه قادر ولم يقر بانه قاهر ، وأقرَّ بانه إله ولم يقر بأنه خالق، وهذا القول الذى قلته ، فكلُّيتهُ فاسدٌ لا يجوز فى التوحيد، ولا يقوله من له أدنى رأى سديد، ومعرفة يسيرة .

وأما قولك، أيها **المجبرُ**، فى المحتلم وليس بمجنون ولا مغلوب على عقله ؛ لأنه يعرف حين احتلم أنه قد كمل عقله ، فهذا كلام مخلط لم تصحه ، والمحتلم ليس عليه لوم فى نومه، والفرائض له لازمة، وإن نام، والتوحيد عليه فريضة، وإن نام؛ لأن النوم لا يُذهب عنه فرض التوحيد، وعليه أن يقوم بفرائضه ويؤديها ويعتقدها.

١٥ظ / وقولنا: «**إن الفرائض والتوحيد لازمة للنائم فى / نومه**» ، أردنا بذلك أن فرض الله لازم للنائم واليقظان ، نريد أن على النائم أن يكون ضميره واعتقاده التوحيد، ووجوب الفرائض، فإذا استيقظ لزمه العمل والأداء [١] لما افتُرضَ عليه.

وأما الفعل فيه يكون الثواب والعقاب؛ لأن الأمر والنهى إنما هو لازم لأهل العقول، وأنت تعلم أن **الزنج والهند والحبش**، وجميع الأعاجم، إذا طلبوا العلم والتعليم نالوه وأدركوه، وإن قصروا بعد دعاء [٢] الرسل، لزمتهم الحجَّة لقول الله، سبحانه ، لنبيه،

---

(١) وردت فى الأصل : الادا .

(٢) وردت فى الأصل : دعا .

صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [1] ، ولا عذر لأحد من الأولين والآخرين فى أداء [2] ما افترض الله عليه من توحيده وعدله ودينه ، وإن عذرته أنت، بجهلك وفريتك على الله، جل ثناؤه ، وجعلت له الحجة على الله، سبحانه، ورددت القرآن، والله ، سبحانه ، يقول : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[3]، وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [4]، وكل هذا يُكذِّبُ قولك الذى قلت : **إن الله، عز وجل، أراد أن لا يعبدوه وأراد أن لا يؤمنوا، وأن يكفروا، ويفجروا !!..**

فإن قال لنا قائل : أليس قد تجدون فى الرواية عن النبى، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أنه قال **«رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الطفل حتى يبلغ»** [5] .

فإذا قلنا : نعم ، قد صحَّ ذلك ، قال : فكيف زعمتم أن الفرائض لازمةٌ للنائم والمستيقظ، وهذا ينقضُ ما قلتم ؟!!..

قلنا له : إنما يزول عن النائم فعل الفرائض ما دام فى نومه، ولا يزول عنه اعتقادها ولازمها الواجب المحتوم الذى لايسقط، والدليل على ذلك أنه لا يجوز أن نقول لرجل نائم : هذا الرجل النائم قد زال عنه الإيمان، بزوال عقله، وما هو فيه من نومه، ولكن يجوز أن نقول : قد زال عن هذا النائم عمل الفرائض ما دام نائماً . فهذا وجه الصواب، والحمدلله رب العالمين.

فى بيان أن أفعال العباد غير مخلوقة :

ومن الحجَّة لنا عليك أن أفعال العباد غير مخلوقة ، قول أمير المؤمنين **على بن أبى طالب**[6] ، صلوات الله عليه ، وقد سئل ما الإيمان فقال : **«الإيمان قول معقول، وعمل معْمولٌ، وعرفانٌ فى العقول»** .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٨.
(٢) جاءت فى الأصل : أدا.
(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥.
(٤) سورة الذاريات : الآية ٥٦.
(٥) رواه الترمذى ٤ / ٢٤ (١٤٣٣) ، والبخارى ١٢ / ١٢٣ (٦٨١٥) ، وابن ماجة عن عائشة ١ / ٦٥٨ (٢٠٤١) ، وأبو داود ٤ / ١٤٠ (٤٤٠٣) ، والديلمى فى الفردوس ٢ / ٤٠٤ حديث (٣١٠٤) .
(٦) هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين **على بن أبى طالب بن عبد المطلب** بن عم رسول الله، ﷺ ، واول من أسلم من الصبية ، ولد فى السنة ٢٣ قبل الهجرة وتزوج من **فاطمة الزهراء** ابنة رسول الله، وكان عمرها ١٨ سنة، وانجب منها **الحسن والحسين**، عرف بالشجاعة والفتوة. وقتل شهيداً سنة ٤٠هـ على يد **عبد الرحمن بن ملجم الخارجى** ، وهو يصلى الفجر بمسجده بالبصرة. انظر ترجمته بالأعلام ٤ / ٢٩٥ .

ولم يحد الإيمان بلمس ولا بحس يُحسُّ ، ثم سُئل ما الإيمان مرة أخرى، فجاء، عليه السلام ، بالمعنى الأوَّل بعينه بلفظ غير اللفظ الأول، فقال : «**الإيمان قول باللسان** ١٦و / **وعمل بالأركان ومعرفة** / **بالجنان**» ، ولم يصف الإيمان أنه مخلوق، ولا أنه موجود بين ستة حدود، وهى الخلف والقدام واليمنة واليسرة والفوق والتحتُ ، التى لابُدَّ منها للشئ من جميع ما خلق الله، عز وجل / وأنتم فلا توجدونا أفعال العباد بين هذه الحدود أبداً ، وذلك الدليل على أنها غيرمخلوقة ، وأنها حركات بنى آدم وفعلهم، شاهد ذلك الأكبر الذى لايُرد ، قول الله ، عز وجل، للظالمين : ﴿ **وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا** ﴾ [١] ، فصحَّ إنما خلقوا ليس بخلق الله، عز وجل، وفى أقل من هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين .

***

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى فى كتابه : وهو يخاطب صاحبه، وهو يغريه **بأهل العدل** : واعلم أنك لن تسألهم عن شئ ، هو أشد عليهم من هذا وأشباهه ، لأنهم يقولون : لا يكلف الله العباد إلا ما يستطيعون ، فإن جعلوا الإنسان شيئاً [٢] ، ولم يُعطوا الآخر، انكسر قولهم؛ لأنهم إن كَلَّفوا الآخر حينئذ ما علم الآخر [٣] ، ولم[٤]، يعط ما أعطى، فقد كلّضفوه حينئذ ما لايطيق ؛ لأن الشئ الذى كُلِّفَ لا ينال إلا بذلك الفضل الذى أعطيه الآخر ، فهو الآن مكلَّفٌ ما لا يطيق.

***

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٢) وردت فى الأصل : شيا.

(٣) بالهامش (أظنه ما على الآخر) وهو صحيح.

(٤) جاءت مكررة بالأصل.